December 2019
Vol 1 Issue 4

Administrative systems during the Fatimid era (358-567 AH/968-1171 AD)

Dr. Khanzad Sabah Mohiuddin
Mohiuddin @gmail.com

Issn print: 2710-3005. Issn online: 2706 – 8455, Impact Factor: 1.705, Orcid: 000-0003-4452-9929, DOI 10.5281/zenodo.10518586, PP 120-133.

Abstract: Egypt lived after submission of the Islamic Authority dominance and control of many nation or local authorities and split from central government and declared its independency. It could be one of reason which helped those authorities to success. The privilege of Egypt is in the desert nature that had which prevent to be controlled by any country and especially it was the center of civilization since the dawn of the history.

Keywords: System, Administrative, Era, Fatimid.

النظم الادارية خلال العصر الفاطمي (358- 567هـ/968 -1171م)

ملخص الدراسة: عاشت مصر بعد خضوعها للسلطة الاسلامية نفوذ وسيطرة عدة دويلات او سلطات محلية انشقت عن الدولة المركزية واعلنت استقلالها ولعل احد الاسباب التي ساعدت تلك السلطات من النجاح والفلاح هي امتياز مصر بطبيعتها الصحراوية التي تعسر إخضاعها لنفوذ دولة يبعد عنها مركز الخلافة ولاسيما إنها كانت مركزاً للحضارة منذ فجر التأريـخ . ومن جهة أخرى كانت الدولة الفاطمية(297- 567هـ/909 -1171م)تبحث عن بيئة تساعدها للبزوغ ولتكون رديفةً للدولة المركزية أي الخلافة العباسية (132-656هـ/750-1258م)،ويبدو إن الفاطميين قد أفلحوا في بناء حاضرة دولتهم في مصر بعد الانتقال اليها سنة(358هـ/969م) لتضيف لمصر محطة تاريخية حضارية شهدت خلالها نشاط عمراني ، وإنبلاج فكري ،وتأسيس الدولة وفق مؤسسات ادارية أشيدت حسب نظم إدارية ومالية رسمت من خلالها سياسة الدولة لبسط نفوذها على اكبر رقعة في البلاد الاسلامية.

الكلمات المفتاحية: النظم، الادارية، العصر, الفاطمي.

المقدمة

تناول تاريـخ قيام الدولة الفاطمية العديد من الدراسات والبحوث التاريخية لأنها شغّلت حيّزاً واسعاً في التأريـخ الاسلامي حيث إنها بزغت على أسس دينية مذهبية أسماعيلية لتكون منافسةً للدولة الدينية السنية العباسية (132-656هـ/750-1258م)،وكان من البديهي أن تزهو تلك الدولة وتترقى لتوطيد أركانها لتعلو على منافستها ،كما لا يمكن الاغفال عن اهتمام الدولة بالنظم الادارية بجانبيها السياسية والحربية كإحدى الركائز المهمة التي عمل الفاطميون على الارتقاء بها حيث تمكن الفاطميون بفضل تنظيم الدعوة في بسط نفوذهم وسيادتهم على اماكن مترامية من الأراضي الاسلامية في السند والهند وعمان واليمن.

وقد اتسمت النظم الفاطمية بارتكازها على أسس دينية مذهبية شيعية ضمّت جميع مظاهر الحياة بدءاً من الخليفة او الإمام حتى أقل كاتب فيها ،حيث كانت العقيدة الفاطمية منذ نشأتها في المغرب (297هـ/909م) وانتقالها الى مصر في (358هـ/968م) ،تناول البحث دراسة تلك النظم الادارية في الدولة الفاطمية حيث بحثت أهم العوامل المؤثرة على نشأة تلك النظم بشتى مجالاتها السياسية والعسكرية والاقتصادية والاجتماعية في محورها الاول ، وفي محورها الثاني أهم النظم السياسية والحربية في الدولة الفاطمية وأهم التأثيرات السياسية والحربية والاجتماعية في محورها الثالث.

المبحث الأول

أهم العوامل المؤثرة في الادارة الفاطمية

إن الاختلافات الدينية والمذهبية التي رافقت بزوغ الفاطميين على الساحة السياسية في مصر أوجبت عليهم اتباع جميع السبل في سبيل تأمين أوسع رقعة في المجتمع المصري حيث كان اليهود والنصارى الاقباط تعيش مع المسلمين ،كما إن الفاطميون الاسماعيلية بعدما دخلوا الى مصر يسعون لنيل مودة اهلها من جهة ،ويدعون لانضمام أكثر عدد منهم الى مذهب الاسماعيلية الشيعية.

لذا يعد العامل الديني والمذهبي احدى العوامل المؤثرة على النظم الادارية في الدولة الفاطمية ولاسيما إنها كانت تسعى لترسيخ عقائدهم ومعتقداتهم على سياسة الدولة فقد كانت موضوع الامامة او الخلافة إحدى اهم الركائز في الدولة الفاطمية لأنها جمعت بين السلطة الدينية والسياسية من جهة ،ولاختلاف الآراء حولها في المذهب الشيعي من جهة اخرى ،حيث تباين الآراء حول

شخصية الامام الذي يعتقد طائفة من الشيعة يعرفون بالإسماعيلية والذين يعدون المؤسسون للدولة الفاطمية ان الامامة بعد وفاة الامام جعفر الصادق(ت:148هـ/765م) قد انتقل الى ابنه اسماعيل (ت:138هـ/755م،أو142هـ/760م) بوصية اوصى بها قبل وفاته ويعدون إبنه محمد الوريث الشرعي في الامامة إلا إن فرقة اخرى تسمى بالإمامية الاثني عشرية[1].لذا كان لابد بعد إنشاء دولتهم من توطيد عقيدتهم هذه التى كانت طالما دعاتهم تسعى لنشرها في الجزر[2].

وقد حظي الجانب الاقتصادي والمالي لمصر باهتمام كبير في الدولة الفاطمية وذلك باستغلال مواردها الاقتصادية وثرواتها الزراعية والصناعية والتجارية لجني اموال طائلة الى خزائن الدولة حيث تطلبت إدارة البلاد ذلك، وعلى الرغم من إن مصر قد شهدت في عصر الفاطميين العديد ملازمات الاقتصادية والاوبئة[3]التي كانت بسبب بتأثير العوامل الطبيعية كالأوبئة والفيضانات وزيادة مقياس النيل وانخفاضها أو بتأثير العامل البشري لعدم كفاءة الموكل اليه الجانب المالي أو لفساده لكن الفاطميين استطاعوا من بناء حضارة تشهد لهم الازدهار تميزت بها مصر طيلة فترة حكمهم. مما استوجب نظام دقيق لاستمرار إدارة إسلامية في مصر من جهة ولتكون جديرة بالتنافس مع مركز الخلافة العباسية في بغداد.

كما كان المجتمع المصري في عهد الفاطميين يتألف من عدة طوائف دينية وقومية ،وعلى الرغم من إن الفاطميين السيعة الاسماعيلية كانوا الاقلية عند بناء دولتهم في مصر الى إنهم نجحوا الى كسب المصريين واحتواء المجتمع المصري لجانبهم فترة حكمهم فيها وخاصةً في عصر اوائل خلفائها في مصر حيث كان الانعاش والازدهار.

ومما لا يمكن الاغفال عنها إن احتواء مجتمع تعدد فيه طوائف دينية وقومية يستوجب نظم يشمل تنظيم أمور جباية الخراج والزكاة والجزية.

المبحث الثاني

النظم الادارية في الدولة الفاطمية

أولاً- النظم الادارية السياسية:-

الخلافة والامامة: إحدى انظمة الحكم الخاص بالمسلمين وهو نظام قوامه الدين ،والخليفة موضوعة لخلافة الرسول(صلى الله عليه وسلم) في حراسة الدين وسياسة

[1] عبد القاهر البغدادي: الفرق بين الفرق، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية،(بيروت: 1995م)، ص42.

[2] الجزر: الجزيرة: هي الإقليم الرئيسي من أقاليم الدعوة عند الإسماعيلية. عماد الدين ادريس، الداعي عماد الدين بن الحسن(ت:872هـ/1468م):تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب القسم الخاص من كتاب عيون الأخبار،تحقيق: محمد اليعلاوي،دار الغرب الاسلامي، (بيروت:1985م)، ص68.

[3]المقريزي،تقي الدين بن علي(ت:845هـ/1442م):اغاثة الامة بكشف الغمة،تحقيق:كرم حلمي فرحات،(القاهرة،2007م)،ص 89-106.

الدنيا[4].وبموجبه له الولاية العامة والطاعة التامة لأنه ينوب الروس(صلى الله عليه وسلم) في تنفيذ الشرائع والسير بمقتضى أصول الدين والمحافظة عليه والعمل على نشره. وتعتبر الشيعة الخلافة ركناً من اركان الدين، وينحصر تعيين الخليفة أو الامام في أسرة الرسول(صلى الله عليه وسلم) عندهم ، وبالتحديد في بيت معين وهو بيت إبن عمه وزوج إبنته الامام علي(رضي الله عنه) حيث ينص عقيدتهم الى إن ابنه الحسن هو الخليفة بعد والده، ولكن إختلفت الشيعة في تسلسل أئمتهم .

وبعد وفاة الصادق وإبنه اسماعيل قد تسترالائمة لعدم وجود شوكةً وقوةً يظهرون به على اعدائهم ويعدون محمد بن اسماعيل المشهور بمحمد المكتوم(179هـ/795م)أول الائمة المستورين ويليه إبنه جعفر المصدق وإبنه محمد الحبيب ثم ينتهي طور التستر ويظهر أول خلفاء الفاطميين وهو عبيدالله المهدي الذي تم تأسيس اول دولةٍ لهم في المغرب سنة(297هـ/909م)[5].

فيما يلي جدول بأسماء خلفاء الدولة الفاطميين منذ تأسيسها في المغرب وحتى سقوطها في مصر، وقد تم تضليل خلفاءها في مصر:-

وعند انتقال الفاطميين الى مصر سنة (358هـ/968م) أسبغ المعز لدين الله(341-365هـ/953-975م) لوناً آخر من القدسية على شخصية الامام او الخليفة وينوه بأقواله وامثاله وكتبه بمقدرة إمامته الروحية الخارقة، لكونها غمامة الدنيا والدين معاً[6].وأصبح ينحنى امامه هو ومن جاء بعده من الخلفاء الفاطميين، وتمادوا في تعظيم الخلفاء الفاطميين، وأصبح الناس يقبلون الارض بين أيديهم وتلثم أيديهم وأرجلهم[7].وهكذا أحيط شخص الخليفة الفاطمي بالرهبة والقداسة وذلك لان الله اصطفاه من شجرة النبوة ليحكم بروح من عنده،ولأن للإمام صلة روحية بالله من جنس التي للانبياء والرسل[8] حسب مايزعمون.

وقد إصطحب اعتلاء الخليفة الفاطمي العرش عدة مظاهر غاية في الابهة والعظمة يجتمع فيها الامراء والقضاة ورجال الدين وكبار رجال الدولة. ومن اهم تلك المظاهر

---

[4] الماوردي،علي بن محمد(ت:450هـ/1058م):الاحكام السلطانية،تحقيق: احمد جاد،(القاهرة:2006م)،ص15.

[5] عماد الدين ادريس:تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب،ص118-228.

[6] ينظر رسالة المعز لدين الله لزعيم القارمطة .المقريزي،تقي الدين احمد بن علي(ت:845هـ/1441م) اتعاظ الحنفا باخبار الائمة الفاطميين الخلفا،تحقيق:جمال الدين الشيال،ط2،(القاهرة:1996م)،ج1،ص189-201.

[7] القاضي النعمان المغربي،المجالس والمسايرات،ص ص 370 ،451؛القلقشندي،احمد بن علي(ت:821هـ/1418م):صبح الاعشى في صناعة الإنشا،تحقيق: محمد حسين شمس الدين،دار الكتب العلمية،(بيروت:د.ت)،مج3،ص573.

[8] القاضي النعمان المغربي:المجالس والمسايرات،ص65.

ذكر أسمه في المنابر ونقشها على السكة، وهو الذي يحث على الجهاد في سبيل الله والدين، ويخرج الى جيوشه البرية والبحرية ليباركها، وهو المهيمن على شؤن موظفي دولته، يكافئهم حسب كفاية كل منهم، ويملأ اعينهم بالعطاء الكثير ،ويفسح لكل منهم المجال حسب غخلاصه ويتدرج بهم في المناصب[9].

كما اتبع الفاطميون نظام ولاية العهد التى كانت سائدة في الدولة الاموية والدولة العباسية ،وبذلك أستمرت الحكم بالوراثة،فعندما كان الخليفة يشعر بدنو أجله يولي أحد أبنائه ولاية العهد ويأخذ البيعة له بين رجالات الدولة ووجوه الناس ،ويتجدد البيعة بعد وفاة الخليفة وتعيين ولي العهد بالخليفة[10]،وقد كان ولاية العهد تنص للإبن الاكبر في العقيدة الاسماعيلية إلا إن الفاطميون خرقوا هذه القاعدة ولم يلتزموا بها دائماً، حيث عدلّ المعزلدين الله بوصيته عن إبنه الاكبر الذي كان يعيش حياة عابثة غير لائقة بمن بؤم المومنين بعده[11]،الى إبنه الاوسط عبدالله ولكنه توفي في حياة أبيه[12].وبذلك كان يجب على المعز ان ينص وفقاً للعقيدة الاسماعيلية، على حفيده إبن عبدالله ولكنه نقل وصيته الى العزيز بالله نزار الاخ الاصغر لعبدالله.كما نص الحاكم بأمر بالامامة لإبن عمه إللا إنه حبس وأبعد قبل وفاته، وآلت الامامة الى إبنه الظاهر لإعزاز الدين علي بن الحاكم بتدخل من ست الملك الاخت الكبرى لحاكم[13].

الوزارة : جاءت كلمة الوزير عند اللغويين بمعنى ((حبأ الملك الذي يحمل ثقله، ويعينه برأيه))[14] ، أي الذي يعينه برأيه ويستشيره الملك في اتخاذ قراراته المهمة في البلاد، وكانت الوزارة في الإسلام على نوعين: وزارة التفويض[15]، ووزارة التنفيذ[16]. ولم يُعرف في الدولة الفاطمية وزيراً طيلة فترة قيامها بالمغرب[17]، على

---

[9] القلقشندي: صبح الاعشى،مج3،ص545-555.

[10] ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي الأتابكي (874هـ/1469م) :النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، (بيروت: 1992م)،ج4،ص ص 112-176،113.

[11] الجوذري:ابو علي منصور العزيزي:سيرة الاستاذجوذر،تحقيق:محمد كامل حسين و محمد عبدالهادي شعيرة،دارالفكر العربي،(مصر:د.ت)،ص ص 141، 181، 186.

[12] ابن الطوير، أبو محمد المرتضى عبدالسلام بن الحسن القيسراني (617هـ/1220م) :نزهة المقلتين في أخبار الدولتين، تحقيق: أيمن فؤاد سيد، دار الصادر،(بيروت: 1992م)،ص37.

[13] المقريزي:اتعاظ الحنفا،ج2،ص 2 116؛183؛ابن تغري بردي:النجوم الزاهرة،ج4، ص193.

[14] ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن كرم الافريقي المصري (711هـ/1311م) :لسان العرب، دار الحديث، (القاهرة: 2003م)مج9،ص288؛ الفيروزآبادي،مجدالدين محمد يعقوب(817هـ/1414م):القاموس المحيط،داراحياء التراث العربي، (بيروت:2000م)، ج1، ص681

[15] وزيرالتفويض: وهو الذي يفوض إليه تدبير الامور برأيه وإمضائها على اجتهاده. الماوردي: الأحكام السلطانية ،ص50.

[16] وهو الذي ليس له في الوزارة إلا التنفيذ، ويقتصر دوره في أن يكون وسيطاً بين الرعايا والولاة ويؤدي عنه ما أمر وينفذ.المصدر السابق،ص52.

[17] ابن الطوير:نزهة المقلتين في أخبار الدولتين،ص40.

الرغم من أن الوزارة كانت تعد أرفع الوظائف عند الفاطميين وأعلاها درجةً[18] ،وبـها تشتد قواعد المملكة[19]،ولكنها حين انتقلتْ إلى مصر ورسّخت بنيانها وتوطّدت أركان الخلافة فيها بدأ الخليفة يبحث عمن يحمل عنه بعضاً من أعباء الدولة ويتنازل له بالمقابل عن بعض سلطاته، وكان أول وزير للفاطميين في مصر في عهد الخليفة العزيز بالله (365-386هـ/953-975م) الذي عيَّن يعقوب[20] بن كلس وزيراً له ولقبه بـ(الوزير الاجل)[21] .

وقد تباين سلطة الوزير في الدولة الفاطمية أثناء حكمهم في مصر فقد اكتفى الوزراء في الدولة الفاطمي بمؤازرة الخليفة ونيابته في في الامور الادارية للبلاد في عهد الخلفاء الاوائل في مصر الى إن هذا الدور قد تعاظم عندما تقلد منصب الوزارة شخصيات قوية تولت وزارة القلم والسيف معاً، مثل كشخصية بدرالدين الجمالي (466-487هـ/1074-1094م)[22]،الذي ما وأن تسلم الوزارة حتى أصبح الامركله بيد الوزراء أصحاب السيوف واستبدوا بالدولة لذلك كان الاحتفال بتوليتهم الوزارة بالغاً بإظهار مظاهر الفخامة وكان يحضره إضافةً لأهل الوزير وكبار قادة الدولة وجالياتها العامة أيضا وعند انتها الاحتفال يتم توصيل الوزير الى داره ِ مرتدياً الخلع السلطانية مشاة في ركابه[23].

والجدير بالاشارة الى ان هذا المنصب لم ينحصر في بيت ولا جنسية واحدة ولا على المسلمين فحسب وتم تعين جنسيات متعددة[24] وأهل الذمة من اليهود والنصارى أيضاً[25].

الولاة: أشار القلقشندي[26] الى تقسيمات إدارية لمناطق نفوذ الفاطميين وقسمها الى أربع ولايات ذكرها بشكل مختصراً حسب حجم الولاية وهي كالآتي :-

[18] القلقشندي: صبح، مج3، ص553؛ محمد حمدي المناوي:الوزارة والوزراء في العصر الفاطمي،(القاهرة:1970م)،ص40.

[19] الابشهيي، شهاب الدين محمد بن احمد(ت:850هـ/1448م):المستطرف في كل فن مستظرف،تحقيق:محمد خير طعمة الحلبي،(بيروت:2008م)،ص139.

[20]يعقوب بن كلس: هو أبو الفرج يعقوب بن يوسف بن إبراهيم بن هارون بن داود بن كلس، كان تاجراً يهودياً مال إلى الفاطميين ، وأسلم وتوفي سنة380هـ/990م. ينظر: ابن الصيرفي، أمين الدين أبو القاسم علي بن منجب بن سليمان(542هـ/1147م)
الإشارة إلى من نال الوزارة، تحقيق: عبدالله مخلص (مقتطف من مجلة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية. المجلد الخامس والعشرون)، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي الخاص بالعاديات الشرقية، (القاهرة: 1973م، ص14.

[21] ابن الصيرفي: المصدر السابق، ص21

[22] القلقشندي:صبح الاعشى،مج3،ص562.

[23] م ابن ميسر،تاج الدين محمد بن علي بن يوسف بن جلب بن راغب(ت : 677هـ/1278م):المنتقى من أخبار مصر،تحقيق:أيمن فؤاد سيد،المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة،(القاهرة:1981م)،ص40؛حمد حمدي المناوي:الوزارة،ص54.

[24] ينظر الجدول الملحق لجنسية الوزراء واديانهم محمد حمدي المناوي:الوزارة،ص297 – 303.

[25] ابن الصيرفي: الاشارة الى من نال الوزارة،ص52.

[26] صبح الاعشى،مج3،ص570- 571.

- أولاً:- ولاية القوص التي كانت من أعظم الولايات في الديار المصرية ووواليها يحكم على جميع بلاد الصعيد.
- ثانياً:- ولاية الشرقية:- وكانت دون ولاية قوص في الرتبة،وكان متوليها يحكم على عمل بليس وعمل قليوب.
- ثالثاً:- ولاية الغربية:- وهي دون ولاية الشرقية في المرتبة وكان متوليها يحكم على عمل المحلة وعمل منوف وعمل أبيار.
- رابعاً: ولاية الاسكندرية :- وهي دون الغربية في الرتبة وكان متوليها يحكم أعمال البحيرة بأجمعها.

وقد ذكر ابن الطوير راتب كل من تولى الولاية سواء في مركز الدولة الفاطمية القاهرة أو الولايات الاخرى في مصر كان خمسون ديناراً شهرياً[27].

ثانياُ- النظم الادارية الحربية

أما عن النظم الادارية الحربية فقد تولى الفاطميين اهتماما لم يقل عن الاهتمام بالنظم الادارية السياسية ،وقد تضمن الدواوين التالية:-

ديوان الجيش والرواتب:-اختص هذا الديوان بمعرفة احوال الأجناد في مصر والولايات التابعة للدولة الفاطمية من الحياة والمرض والصحة والحضور والغياب، وتحصى فيها أعمالهم وتحفظ جميع الاوراق المتعلقة بهم ،ويسمى متولي هذا الديوان بـ متولي ديوان الجيش أة صاحب ديوان الجيش الذي كان يتمتع بمكانة مرموقة ورفيعة في البلاط السلطاني ولة الرتبة الجليلة لأنه كان يعتبر المرجع الأعلى في شؤن الجند وعرض الاجناد وخيولهم والنظر في امورهم واقطاعاتهم وبين يديه صاحب وله مرتبة على غيره لجلوسه بين يدي الخليفة وله الطرحة والمسند وراتبه الشهري أربعون ديناراً[28].

ديوان الرواتب:- يختص هذا القسم بأسماء كل من يتقاضى راتباً من الدولة ممن يتم تسجيله من قِبل الكاتب الذي يعرضها على شكل عروض حسب المراتب المقربة للخليفة، وعن طريق العروض يتم تحديد الرواتب، فعلى سبيل المثال كان العرض الأول يشتمل براتب الوزير، والعرض الثاني حواشي الخليفة، حتى يصل إلى العرض الثامن وهم صبيان الرِكاب الذين يزيد عددهم على ألفي رجل يقومون بحمل الملحقات لركوب الخليفة في المواسم[29].

---

[27] ابن الطوير، أبو محمد المرتضى عبد السلام بن محمد القيسراني (617هـ/1220م): نزهة المقلتين في أخبار الدولتين،أعاد بناؤه وقدم له:أيمن فؤاد سيد،(بيروت:1992م)،ص85.

[28] المقريزي ،تقي الدين احمد بن علي (ت : 845هـ/1441م) :المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والاثار،تحقيق: أيمن فؤاد سيد،مؤسسة الفرقان،(لندن:2002م)،مج2،ص333؛القلقشندي:صبح الاعشى،مج3،ص565.

[29] ابن الطوير:نزهة المقلتين،ص86؛المقريزي:المواعظ والاعتبار،مج3،ص334.

ديوان الجهاد:- شمل هذا الديوان النظر في كل مايخص الاساطيل المدنية منها والحربية منذ إنشائها وحتى تسييرها والانفاق على رجال البحر ،وكان له إيرادات خاصة للإنفاق منها على رؤساء المراكب ورجالها، وفي حال عدم كفاية موارده يتم الاستعانة ببيت مال المسلمين ليمده بما يحتاج إليه من النفقات، وحظيت مصر في عهد الفاطميين باهتمام بالغ حيث تم بناء مراكز إنشاء السفن، وكانت موضع عناية الخلفاء حتى أواخر عهدهم وربما كانت ضخامة عدد الاسطول البحري شاهداً مادياً على تلك العناية[30].وإن ما دفع الفاطميين إلى الاهتمام بالأسطول لدرء خطر الغزوات البيزنطية، وليتمكنوا من مقاتلة سفن الروم في البحر، علاوةً على رغبتهم في تيسير الاتصال البحري بين سواحل مصر والشام من جهة، والمغرب وصقلية من الجهة الأخرى، لذا كان لابد من تخصيص ديوان بالأساطيل يعرف بديوان الجهاد أو ديوان العمائر[31]، وقد كان مقره في دار صناعة الإنشاء بمصر، وبما أنهم أنشأوا له ديواناً خاصاً من المرجح أنه حظي باهتمام بالغ يتجلى في ضخامة المؤسسة العمرانية المخصصة لهاوالتي كانت تتولى إنشاء مراكب الاسطول وحمل الغلال السلطانية وغيرها[32] .

وعلى الرغم من أن المؤرخين اختلفوا في تحديد موقع الديوان لكنه يبدو أن المقر الرئيس لهذا الديوان كان ضمن القصر الكبير في القاهرة[33]، ولكنه تفرع إلى بقية المدن المصرية كالاسكندرية ودمياط[34]، وكان يختص بإنشاء مراكب الاسطول وتجهيز كافة مستلزمات صناعتها من الغلال السلطانية والأحطاب وغيرها، كما النفقة على رؤساء المراكب ورجالها [35].

كما أشار ابن الطوير[36]إلى ((الخدمة في ديوان الجهاد، ويقال له: ديوان العمائر، وكان محله بصناعة الإنشاء بمصر للأسطول والمراكب الحاملة للغلات السلطانية، والأحطاب وغيرها)). فمن خلال ما ذكر، وبحث ما كان الفاطميين يرمون إليه، نرجح بأن هذا الديوان قد شغل حيزاً واسعاً ضمن اهتمامات وسياسة الدولة الفاطمية.

ديوان الاقطاع:-كان هذا الديوان أيضاً ملحقاً بديوان الجيش ومرتبطاً به ،وقد أعدّ ليختص بشؤن الاقطاعات، فينظر فيما هو مقطع

[30] القلقشندي:صبح الاعشى ،ص597

[31] ابن مماتي،أبو المكارم شرف الدين بن أبي سعيد(ت: 606هـ/1209م):القوانين والدواوين، مكتبة مدبولي،(القاهرة:1991م) ، ص340؛ ابن الطوير: نزهة المقلتين، ص94.

[32] المقريزي: المواعظ والاعتبار،مج4،ص53؛القلقشندي: صبح الأعشى، مج3، ص569.

[33] ابن الطوير : نزهة المقلتين، ص94.

[34] ابن مماتي : القوانين والدواوين، ص340.

[35] ابن الطوير : نزهة المقلتين، ص94.

[36] المصدر نفسه، ص94-95.

للأجناد من الأراضي الخراجية برسم خاص من الدولة ولم يكن لصاحب ديوان الجيش تغيير احداً من الجند ولا شيئاً من أقطاعه إلا بموجب مرسوم حيث كانت الدولة تحدد التعامل بها وفق سعر الغلات وغيرها[37]،والجدير بالإشارة إن الراتب الشهري لرئيسه كان أربعين ديناراً[38]

المبحث الثالث

تأثير النظم على ادارة الدولة

إن الحضارة التي شهدتها مصر أبان الحكم الفاطمي بمظاهرها السياسية والاقتصادية والاجتماعية لم تاتي بغتةً بل لابد ان تكون السبل قد مهدت الطريق تدريجياً امامها وتجمعت عوامل مختلفة داخلياً وخارجياً امتزج ببعضها البعض فجاء النفوذ الفاطمي فأخذ أثر هذا التمهيد وهذا التفاعل وبها عاش عصر الازدهار والانتعاش الاقتصادي والعمراني إضافةً الى التوسع السياسي وانفتاحها على العالم الخارجي بإقامة علاقات سياسية أتيحت لها ترسيخ جذور أركان دولتها وانعكاس أثرها على شتى المجالات في الدولة.

لدراسة تأثير النظم الادارية في الدولة الفاطمية سيتم دراستها على النحو التالي:-

- **أولاً:- التأثيرات السياسية:-**

إن حشد سلطة الدين والدنيا في شخصية الامام أو الخليفة أعطتها مركزية وخاصةً إنها أسبغتها بقدسية تامة جعل من خلالها السلطة التشريعية والتنفيذية والسلطة القضائية بيد الخليفة كأعلى مرتبة يمثل الهيكل الإداري للدولة. ومن جهة أخرى يلاحظ إن اعتلاء العرش في الدولة الفاطمية على أساس المبدأ الوراثي كانت له ميزته وعيوبه فأما ميزته فانتقال الخلافة والحكم بطريقة طبيعية وهادئ يتضمن بقاء العرش في أسرة واحدة دون أن ينازعهم منازع، واما عيبه فهو في وصول أشخاص لا يمتلكون الكفاءات اللازمة للحكم. ولكن لابد الاشارة الى إن هذه المركزية داخل البيت الاسماعيلي الفاطمي لم تستمر حتى نهاية دولتهم بل خضعت هي الاخرى للمد والجزر وآلت احياناً الى نشوب الفتن والاضطرابات داخل البيت الفاطمي نتيجة للصراعات المتدامية على السلطة.

وعلى الرغم من كل مظاهر الفخامة الذي اتخذه الخلفاء الفاطميين إلا إن مايلحظ على البعض منهم إنه قد انتزع منهم الهيبة والوقار بسبب عدم كفائته في الادارة أو لصغر عمره مما دفع الوزراء أن يستغلوا الفرصة وهيمنة سلطتهم للتحكم في إدارة الدولة وقد بلغ بهم المآل أن يتحكموا في تعيين الخليفة،وأصبح الخليفة ألعوبةً بيد

[37] ابن الطوير :نزهة المقلتين ، ص86.
[38] المقريزي:المواعظ والاعتبار،مج2،ص334-336.

وزرائها[39]،عندما أضاف المستنصر بالله (427-487هـ/1035 – 1094م) الاشراف على الدعوة والقضاء الى وزيره بدرالدين الجمالي،وبعد وفاة الخليفة إنشقّ الفاطمية الاسماعيلية لأنه كان قد عينّ إبنه نزار ولياً للعهد قبل وفاته ولكن بسبب إنحيازوزيره الافضل شاهنشاه بن بدرالدين الجمالي لجانب إبنه الاخرالمستعلي تم تعيينه كخليفة للفاطميين[40] .كما إن الصراع بين جنسيات القوى العسكريت باتت هي الاخرى موضوع تسببت في الإضطرابات السياسية في مناطق نفوذ الفاطميين فقد امتاز كل خليفةٍ بسيادة قوة طائفة او فئة معينة ففي عهد ثاني خلفاء الفاطميين في مصر العزيز بالله(365-386هـ/975-996م)غلبت قوة الاتراك[41]،فيما غلب الكتاميين المغاربة في عهد الحاكم بامر الله(386-411هـ/996-1020م) ثالث خلفاء الفاطميين[42]،وقد استمرت الصراع بين القوتين مما بزغ قوةً أخرى على مسرح الاحداث الارمن في عهد المستنصر بالله الفاطمي[43]. كما عمل الفاطميون على ان يكون لهم بجانب الجيوش البرية،التي تميزت بسرعة الحركة والنشاط والمتدرب على الفنون العسكرية[44] ،اسطول قوي في البحر الابيض المتوسط ،ليدفعوا به تهديد البيزنطيين لبلاد الشام التي كانت تابعة لهم ،وأنشأوا في المرافيء مراكز صناعية لصناعة السفن[45].

وهكذا كان للنظم الادارية دورفي إحتواء هذه القوى والسيطرة عليها من جهة،وانفتاح الدولة بوجه القوى المجاورة في بناء علاقاتها السياسية من جهة اخرى.وعلى الرغم من كل تلك النتائج السلبية والايجابية الا إن وجود نظم يتم من خلالها بناء حضارة الدولة الفاطمية تشهد التطور السياسي والبناء الحضري طيلة فترة حكمها.

ثانياً:- الاقتصادية

كان من الضروري بعد إنتقال الدولة الفاطمية الى مصرأن يستهلوا عهدهم بتنظيم الإدارة المالية وضبط موارد بيت المال والتدقيق في جبايتها.حتى يتوفر لديهم المال الذي يكفل بقاء دولتهم وامتدارد سلطانهم ويهيء لهم سبيل حياة الترف والثراء التي جاهدوا أن ينافسوا بلاط العباسيين في ميدانها. فما أن غنتقل الفاطميون الى مصر حتى تشددوا في جباية الضرائب وتحصيل ما تاخر منها أمروا الناس على التعامل بالدينار

[39] ابن الطوير:نزهة المقلتين،ص46.
[40] المقريزي:اتعاظ الحنفا،ج3،ص11
[41] المصدر نفسه،ج1،ص245.
[42] ا نفسه،ج2،ص9.
[43] نفسه،ج2،ص311.
[44] المقريزي:المواعظ والاعتبار،مج3،ص320.
[45] المصدر السابق،مج2،ص195.

المعزي[46] ورفضوا التعامل بدينار الراضي[47] إلا بسعر دون قيمته بكثير فنال الناس إرهاق شديد.

وهكذا عملت الحكومة الفاطمية على انشاء إدارة مالية مركزية ولاريب ان إنشاء هذه الدواوين كان يتفق مع استقلال البلاد ويرمي الى استقلال العمل وضبط حسابات الدولة مع الوارد والصادر. والمعلوم إن إنتظام الادارة الحكومية يرتبط أوثق الارتباط بالادارة المالية.وخضع الحالة الاقتصادية في الدولة الفاطمية الى نظام دقيق سميت بالدواوين التي تم تنظيم الامور المالية حسب ضوابط ونظم دقيقة جمعها القلقشندي من المصادر التأريخية التي سبقه وأوردها ضمن أربعة عشرديواناً في الضرب الرابع في مصنفه[48]،وإن ما يلحظ إن الدولة لم تكتفي بإنشاء دواوين واوكلّ الاشراف على هذه الدواوين من قبل متولي النظر لتدقيق الاوراق وعرضها على الوزير أو الخليفة ،الذي كان يندب المترسلين لطب الحساب والحث على طلب الاموال ومطالبة ارباب البدول، ولايعترض فيما يقصده من احد من الدولة كما يشير إليه إبن الطوير[49].هذا بالإضافة الى هيئة أخرى تسمى بـ ديوان التحقيق ،وكانت تتولى مراجعة وتنظيم مصروفات الحكومة ،فقد كانت أشبه باللجنة المالية أو ديوان المحاسبة ممايدل على سعة اختصاص هذا الديوان وعبء المهام الملقاة على عاتقه[50].

كما قام الدعاة الاسماعيلية بدور ملحوظ في فرض السيطرة على الطرق التجارية والبحرية المؤدية الى الهندي،وفي العمل على إثارة القلاقل والفوضى في مناطق نفوذ العباسيين،وظل مؤيدوهم في هذه المناطق محتفظين بالولاء للإسماعيلية والدعوة لهم[51].

ثالثاً: الاجتماعية

أشير في البحث الى الاختلاط الديني والمذهبي والطائفي في مصر في عهد الفاطميين والى اختلال موزاين القوى بينهم خلال فترة حكمهم في مصر،ومن هنا برزت دور الدولة والادارة المركزية في تنظيم هذه القوى وإدارتها وفقاً لنظم دقيقة تجنبها الاصطدام وبروز الفتن بين هذه الطوائف

[46] الدينار المعزي: وهو الدينار الذي ضربه جوهر الصقلي بمصر سنة(358ه/968م)، وحمل اسم الخليفة المعز لدين الله ولقبه، وكانت قيمته تساوي خمسةً وعشرون درهماً. المقريزي،تقي الدين احمد بن علي(ت:845هـ/1441م):كتاب المقفى الكبير (تراجم مغربية ومشرقية من الفترة العبيدية)،تحقيق: محمد اليعلاوي، دار الغرب الإسلامي، (بيروت: 1987م)، ج3، ص100.

[47] الدينار الراضي: هو الدينار العباسي الذي ضرب في عهد الخليفة الراضي(329-322ه/933-940م)، وبلغت قيمته خمسة عشر درهماً. المقريزي: اتعاظ الحنفا، ج1، ص187.

[48] صبح الاعشى،ج3،ص 566 -569.

[49] نزهة المقلتين،ص79-81.

[50] المصدر نفسه،ص81.

[51] ابن الطوير:نزهة المقلتين،ص83.

،ولكنها لم تفلح دوماً في ذلك حيث خضعت هي الاخرى لسيادة القوة المتغلبة التي فلحت في تشغيل اعلى المناصب في الدولة فتارةً يبرز المغاربة على مسرح الاحداث السياسية [52]،وتارةً الاتراك والديلم[53]، والارمن تارةً اخرى[54].وإن وجود النظم الادارية في الدولة الفاطمية والتي خضعت لها المجتمع المصري كافةً كانت لها تأثير فعال في إخماد بعض هذه الفتن المترقبة.

كما إن للنظم الادارية الاثر الاجتماعي الفعال إضافةً لأثرها الاقتصادي لأن تهدف في نهاية المطاف الى رخاء المجتمع ورفاهيتها، فالهيئات والدواوين المختصة بالنظر في المظالم [55]وتوفير العدل[56] من جهة، والنشاط العمراني وتنظيمها بين حارات القاهرة[57] ودروبها[58]،والمساجد[59]والمؤسسات العلمية[60]والمرافق الخدمية[61] الاخرى منجهة أخرى كانت كلها من اجل ترقية المجتمع المصري وترقيتها.

Sources and references

First: Sources:-

1. Al-Abshahi, Shihab al-Din Muhammad bin Ahmad (d. 850 AH/1448 AD): The Extremist in Every Art is Extremist, edited by: Muhammad Khair Tu'ma al-Halabi, (Beirut: 2008 AD).

2. Ibn al-Sayrafi, Amin al-Din Abu al-Qasim Ali bin Munjib bin Sulaiman (542 AH/1147 AD): Referring to the one who obtained the ministry, edited by: Abdullah Mukhles (excerpt from the Journal of the French Scientific Institute of Oriental Antiquities. Volume Twenty-Five), Private French Scientific Institute Press. In Al-Adiyat Al-Sharqiya, (Cairo: 1973 AD.

3. Ibn al-Tuwair, Abu Muhammad al-Murtada Abd al-Salam bin Muhammad al-Qaysrani (617 AH/1220 AD): Nuzhat al-Muqaltayn fi Akhbar al-Dawlatain, reconstructed and presented to him by: Ayman Fouad Sayyid, (Beirut: 1992 AD).

4. Ibn Mamati, Abu Al-Makarim Sharaf Al-Din bin Abi Saeed (d. 606 AH / 1209 AD): Laws and Collections, Madbouly Library, (Cairo: 1991 AD).

5. Ibn Manzur, Abu al-Fadl Jamal al-Din Muhammad ibn Karam al-Ifriqi al-Misri (711 AH/1311 AD): Lisan al-

[52] المقريزي: اتعاظ الحنفا،ج1،ص138/ج2،ص9.
[53] المصدر السابق،ج1،ص245.
[54] نفسه،ج2،ص311.
[55] المقريزي:المواعظ والاعتبار،مج2، ص337- 339.
[56] المصدر السابق،مج3،ص659-668.
[57] نفسه،مج3،ص3-53،47-69.
[58] نفسه،مج3،ص108-139.
[59] نفسه،مج4،ص3-360.
[60] نفسه،مج3،ص355-401.
[61] نفسه،مج3،ص261-286،285-304،303-314.

11. Al-Qadi Al-Mu'taman Al-Maghribi, Al-Nu'man bin Muhammad (d. 463 AH / 1071 AD): The Book of Councils and Competitions: Edited by: Al-Habib Al-Faqi, Ibrahim Shabouh, and Muhammad Al-Yalawi, (Beirut: 1996 AD).

12. Al-Qalqashandi, Ahmed bin Ali (d. 821 AH / 1418 AD): Subh Al-A'sha in the Construction Industry, edited by: Muhammad Hussein Shams Al-Din, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya, (Beirut: d.d.).

13. Al-Mawardi, Ali bin Muhammad (d. 450 AH/1058 AD): The Royal Rulings, edited by: Ahmed Gad, (Cairo: 2006 AD).

14. Al-Maqrizi, Taqi al-Din Ahmad bin Ali (d. 845 AH/1441 AD): Sermons and consideration by mentioning plans and effects, edited by: Ayman Fouad Sayyed, Al-Furqan Foundation, (London: 2002 AD)

15. Al-Maqrizi, Taqi al-Din Ahmad bin Ali (d. 845 AH/1441 AD): Hanafi preaching on the news of the successor Fatimid imams, edited by: Jamal al-Din al-Shayyal, 2nd edition, (Cairo: 1996 AD).

16. Al-Maqrizi, Taqi al-Din Ahmad bin Ali (d. 845 AH/1441 AD): Kitab al-Muqaffa al-Kabir (Moroccan and Arab, Dar al-Hadith, (Cairo: 2003 AD).

6. Ibn Maysar, Taj al-Din Muhammad bin Ali bin Yusuf bin Jalab bin Raghib (d. 677 AH/1278 AD): Al-Muntaqa min Akhbar Misr, edited by: Ayman Fouad Sayed, French Scientific Institute of Oriental Antiquities in Cairo, (Cairo: 1981 AD).

7. Al-Jawthari: Abu Ali Mansour Al-Azizi: The Biography of Professor Jawthari, edited by: Muhammad Kamel Hussein and Muhammad Abdel Hadi Shaira, Dar Al-Fikr Al-Arabi, (Egypt: D.T.)

8. Abd al-Qahir al-Baghdadi: The Difference Between the Sects, edited by: Muhammad Mohi al-Din Abd al-Hamid, Al-Maktabah al-Asriyya, (Beirut: 1995 AD).

9. Imad al-Din Idris, the preacher Imad al-Din bin al-Hasan (d. 872 AH/1468 AD): The history of the Fatimid caliphs in Morocco, the special section of the book Uyun al-Akhbar, edited by: Muhammad al-Yalawi, Dar al-Gharb al-Islami, (Beirut: 1985 AD).

10. Al-Fayrouzabadi, Majd al-Din Muhammad Yaqoub (817 AH/1414 AD): Al-Qamoos Al-Muheet, Dar Ihya Al-Arabi Heritage, (Beirut: 2000 AD).

Eastern biographies from the Ubaid period), edited by: Muhammad al-Yalawi, Dar al-Gharb al-Islami, (Beirut: 1987 AD).

17. Al-Maqrizi, Taqi al-Din bin Ali (d. 845 AH/1442 AD): Relief of the nation by revealing the grief, edited by: Karam Hilmi Farhat, (Cairo, 2007 AD).

The Reviewer

1. Muhammad Hamdi Al-Manawi: The Ministry and the Ministers in the Fatimid Era, Dar Al-Maaref, (Cairo: 1970 AD).